جبل الزمرّد

من مقالة لجناب العالم المستر فلاير

كان الزمرّد يُستخرَج من المعادن المصريّة ولم يكن يستخرَج من غيرها مدة الف وخمس مئة سنة فقد كانت هذه المعادن مفتوحة في ايام سترابو قبل المسيح باربع وعشرين سنة ولم تعرَف معادن غيرها الى ايام بزارو الذي تغلّب على بلاد بيرو سنة ١٥٣٠ ولا عبرة بحجارة الزمرّد التي كانت توجد احياناً في بلاد الهند لانها قليلة نادرة

وذكر بليني اثني عشر نوعاً من الزمرد . وقد اطلق الاقدمون اسمهُ على حجارة كبيرة يبلغ الحجر منها اربع اقدام طولاً كما اطلقوهُ على فصوص الخواتم الصغيرة واطلقوهُ على تمثال ارتفاعهُ عشر اقدام وعلى المرآة التي كان نيرون يشاهد المصارعين بها . والمرجح ان هذه الحجارة الكبيرة لم تكن سوى حجارة ملونة بركبات النحاس . نعم ان بليني قسم انواع الزمرّد الاثني عشر التي ذكرها الى ما يوجد في مناجم النحاس والى ما يوجد في غيرها ولكنهُ لم يضع الحد بينها حيث يضعهُ علماء المعدنيات في هذا العصر

وكانت كليوبترا ملكة مصر تهدي الناس صورتها منقوشة على حجارة الزمرّد كأنها ارادت ان تناقض ما قالهُ بليني وهو ان هذه الحجارة يجب ان لا تنقش

ونقل الشهير كنرمير عن كتاب مسالك الابصار انهُ كان لمعدن الزمرّد ادارة خاصة فيها الكتّاب والمحسبون تُدفع لهم الرواتب من قبل السلطان . وبين المعدن والماء مسافة نصف يوم وهو بركة من ماء المطر تزيد وتنقص بحسب الفصول . والزمرّد ثلاثة اصناف احسنها واثمنها الذبابي . قال صاحب كتاب المسالك واخبرني عبد الرحمن النائب انهُ في مدة نيابتهِ لم يعثر على شيء منهُ

وذكر المقريزي ان العمل في هذه المعادن لم ينقطع الاّ في سنة ستين وسبع مائة هجريّة في وزارة عبد الله بن زنبور وزير السلطان حسن بن محمد بن قلاوون

وقال المسعودي ان المستخرج من الزمرّد على اربعة اصناف احسنها واغلاها الصنف المسمّى مار وهو كثير الخضرة في لون السلق الصافي الذي ليس كابياً والثاني البحري وسمّي بهذا الاسم لرغبة ملوك الولايات التي على البحر فيهِ مثل ملوك السند والهند والزنج والصين فانهم يرغبون فيهِ لتحلية التيجان بهِ والخواتم والاساور وهو قريب من الاول في القيمة واللون واللمعان واخضرارهُ يشبه اخضرار الورق الذي في اول عيدان الآس وفي آخرها . والثالث

يسمّى المغربي لرغبة ملوك المغرب فيهِ مثل ملوك الافرنج واللومبرد والاسبانيول والروس وغيرهم ويتغالون في قيمتهِ كتغالي ملوك الهند والسند ونحوهم في ما قبلهُ والرابع يسمى الاصم وهو اقل قيمة وجودة مما قبلهُ بسبب ان خضرتهُ ليست قويّة ولمعانهُ كذلك وهو متفاوت تبعًا للونهِ . وبالجملة فكلّما كان شديد اللمعان صافي الخضرة خاليًا من السواد والصفرة مجردًا عن العروق فهو المرغوب فيهِ من كل نوع . وزنة ما يُستخرَج من قطع الزمرّد تختلف من خمسة مثاقيل الى قدر العدسة

وذكر المقريزي في كتاب السلوك انهُ لما ضبط الامير نشكو وجد عندهُ زمردتان في غاية الجودة زنة الواحدة منها رطل . وفي سنة ٧٠٤ هجريّة عثر في المعدن على زمرّدة وزنها مئة وخمسة وسبعون مثقالاً وقد اخفاها ملتزم المعدن وعرضها على امير فدفع لهُ فيها مئة وعشرين الف درهم فابى فسلبها منهُ وارسلها الى السلطان فمات الملتزم من الحسرة . وقال برسبير ألبن في الكلام على آبار الزمرّد ان في مدة مسير باشا والي مصر وجدت زمردة جيدة وزنها اربعة وثلاثون درهمًا وقال شمس الدين بن ابي السرور ان الوزير ابرهيم باشا والي مصر في القرن العاشر من الهجرة طاف الاقاليم الجنوبية وذهب الى آبار الزمرّد واستخرج منها مقدارًا عظيمًا ومن ثمّ لم يعُد يعلم عن معادن الزمرّد شيء حتّى قال ميله الذي كتب سنة ١٧١٠ ان جبل الزمرّد لا يُعلَم مكانهُ . وجعلهُ بروس الذي ساح بلاد الشرق سنة ١٧٧٨ في جزيرة ولعلها جزيرة الزبرجد وهو خطأٌ كما لا يخفى ولكن خطأ بروس قاد السياح الى اكتشاف جبل الزمرّد ثانية فانهم راجعوا الكتّاب الاقدمين ووجدوا انهم جعلوهُ في البر لا في جزيرة وانهُ على سبعة الى عشرة ايام من قوص . واول من وجدهُ حديثًا كليود السائح الفرنسوي وذلك سنة ١٨١٩ ورغّب محمد علي باشا في ارسال العمّال اليهِ وفتح معدن الزمرد ثانية فارسلهم ولم تزل البيوت التي كانوا يقيمون فيها والآبار التي فتحوها الى الآن . والظاهر انهُ لم يطل الوقت على كليود في جبل الزمرّد فاستدعاهُ محمد علي باشا ليرافق ابنهُ ابرهيم باشا في حملتهِ على السودان فترك معدن الزمرد وانقطع ارسال الزاد الى العملة من اسوان فتركوهُ وعادوا الى بلادهم

وعُمِّر هذا المعدن ثانية الى ان زرناهُ سنة ١٨٩١ بامر الحضرة الخديويّة الفخيمة فانهُ في ظهيرة اليوم الثالث عشر من شهر مارس (اذار) الماضي كنا نضرب في تلك الصحراء فاشتدّ علينا الهجير وعزّ الماء ورأينا خرائب كثيرة في طريقنا فصوّرها المصور الذي كان معنا واسرعنا نحو آبار ابي هاد فقال لنا الدليل ألا تريدون ان تروا خرائب سفاية فدرنا اليها

وبلغناها في ساعة من الزمان ونزلنا بجانب معبد قائم على صخر ممتد الى الوادي وفي الوادي آثار بيوت اوربية على جانبيه . وهنا يظهر الفرق بين الرجال اليونانيين الذين كانوا يستخرجون الزمرد قديمًا وبين الارناؤوط الذين استخدمهم كليود لهذه الغاية . فان اليونانيين كانوا يبنون بيوتًا رحبة فيها غرف قائمة الزوايا وكوًى قائمة الزوايا ايضًا واما الآبار التي كانوا يحفرونها فكانت اوجرة كاوجرة الارانب ولعلَّ العملة كانوا من الاسرى الذين يسكن حرَّاسهم في تلك البيوت وهم يعملون مقيدين بالقيود والاغلال . واما الارناؤوط فكانوا يسكنون اكواخًا غير محكمة البناء . والآبار التي حفروها مستقيمة واسعة تغور في الجبل مئات من الاقدام ويستدل من كوم التراب التي عند افواهها ان اجتهاد اولئك الناس كان عظيمًا جدًّا . وقد نقبوا الجبل من جهته الشمالية وزرناهُ نحن حينئذٍ من جهته الجنوبية

اما المعبد المشار اليه آنفًا فلم نعلم ما اذا كان كنيسة او هيكلاً ولكن المعلوم ان البلاد التي جنوبي اسوان كانت معتنقة النصرانية وقت الفتح الاسلامي وان العبابدة اخبروا بروس السائح انهم كانوا مسيحيين . والبلاد من اسوان الى الخرطوم كان فيها ثلاث ولايات مسيحية وسبعة عشر مطرانًا . وكان في كنيسة دنقلة لما اخربها عبد الله سنة ٦٤٤ صور جميلة وكثير من الذهب

وفي جانب الوادي المقابل لهذا المعبد هيكلان خربان في الصخر يستعملان الآن مزربين على احدها كتابة يونانية قديمة ولكن الزمان طمسها فلا نقرأ وقد اجتهد احد العلماء فرأى انها تدل على اقامة هذا الهيكل لابسس وابلو وكل الآلهة

ثم صعدنا في الوادي وخريطة كليود في يدنا فرأينا الآبار في جانبه وبعد ميلين بلغنا الجبل فوجدناهُ مخروقًا بالآبار كأنهُ قفير النحل ولونهُ ازرق او رمادي وعلى جوانبه التراب الرمادي المستخرج من آباره وطفنا انحاء ذلك الجبل الى ان اظلم الليل . ورأينا على الجانب الايمن ابراجًا عالية ترى منها البلاد المجاورة ولعلَّ الحرَّاس كانوا يقيمون هناك لرؤية من يهرب من العمال . ومنها برج عالٍ يُرَى منهُ البحر ولعلَّ الغرض منهُ مراقبة مجيء السفن بالطعام

ولم نحاول دخول تلك الآبار لان اكثرها قائم وكثير العمق كما يستدل من رمي الحجارة فيها

ومما يذكر في هذا المقام انهُ كان معنا رجل مصريٌّ ورجل عربيٌّ اما المصري فسرَّ برؤية المعدن ودخلهُ عن طيب نفس واوغل فيهِ كما سيجيء كأن العمل في المعادن من غرائزه

بخلاف العربي فانهُ ابتعد عنهُ ولم يدنُ منهُ والانكليزي دخلهُ كانهُ يتمم فرضًا عليهِ ولكنهُ كان متحذرًا غاية الحذر

وعدنا الى هذا الجبل بعد بضعة اسابيع ووصلناهُ من جهة الشمال حيث كانت محلة الارناؤوط وهناك اربعة اودية صغيرة تنبع من الجبل وتتحد معًا فيصير منها وادٍ كبير وهو وادي شديرة . والظاهر ان هذا الاسم فينيقي وهو الذي استدللتُ منهُ على ان الفينيقيين نزلوا هذه البلاد . وفي هذه الاودية اشجار ظليلة والماء قريب منها والرعاة يرعون مواشيهم في الاراضي المجاورة . وينفصل الاودية بعضها عن بعضها احياد ترابها مثل تراب الجبل وفيها اكثر آبار المعدن لا في الجبل نفسهِ وقد اخترنا البئر التي امامها اكبر كومة من التراب لظننا انها اكبر من غيرها واضأنا الشموع ونزلنا فيها وما اوغلنا كثيرًا حتَّى زاد تحذُّرها ووجدنا فيها قطعًا من الخشب مدقوقة في جوانبها كالاوتاد والظاهر انها لم تزل متينة مع انهُ مرَّ عليها سبعون سنة في ما نظن . وكانت البئر احيانًا تنزل عمودية مسافة عشر اقدام فنضطر ان نعتمد على هذه الاوتاد في نزولنا وصعودنا ولما بعدنا عن الدليل الذي كان لم يزل على فم البئر صرنا نسمع صوتهُ آتيًا من تحتنا ضعيفًا جدًّا ثم بلغنا مكانًا كنَّا نشعر فيهِ بتجدُّد الهواء ولكننا لم نجد البئر التي كان الهواء يأتي منها وانطفأت الشموع في ايدينا مرارًا كثيرة . واخيرًا قرَّ قرارنا على ان ننزل واحدًا واحدًا والذي يتقدمنا يكون بيدهِ خيط يشير بهِ الى الذي فوقهُ بجذبهِ مرارًا معلومة حتَّى اذا بلغ عمقًا معلومًا انتظر الثاني فاجتمعنا كلانا هناك واختار المصري ان ينزل اولاً مدفوعًا الى ذلك بطبيعتهِ فسار امامي واستمرَّت الاشارات بجذب الحبل مدة الى ان بلغ ما سار بهِ من الحبل ٤٨٠ قدمًا كما علمنا بعد ذلك وهناك لم اعد اشعر بجذب الحبل لكثرة التعاريج فرأيت ان لا مناص لي من الانتظار الى ان يعود الرجل فانتظرت مدة طويلة ولمَّا لم يعد عزمت على اتباعهِ لعلي انقذهُ من خطر وقع فيهِ فسرتُ في طريق سهل اولاً ثم وصلت الى مكان النزول فيهِ عسير وفيما انا مرتاب في ماذا افعل واذا بصوت هاتف فلم اعلم أهو آتٍ من اسفل او من اعلى وبعد قليل صعد الرجل ومعهُ سفط مملوء واخبرنا انهُ نزل الى آخر ما امتدَّ معهُ الحبل ثم ربط طرفهُ بصخر وبقي نازلاً الى ان وصل الى غرفة كبيرة يتشعَّب منها عدة اسراب وفيها نحو ثلاثين سفطًا مملوءة بالحجارة المستخرجة من المعدن فحمل واحدًا منها واتاني بهِ . فارسلناهُ الى مدينة لندن ليبحث فيهِ العلماء بحثًا علميًّا

ثم تفحصنا آبارًا أخرى والتقطنا بعض البلورات الخضراء ولعلها من نوع الزمرُّد المسمَّى

بالاصم وهي مما لا قيمة كبيرة له ولكنها احسن دليل على انها من جوار معدن الزمرد الاصلي . وبالجملة نقول ان النفس في هذا الجبل سهل والعمل فيه قليل المشقة لقربه من البحر والارض التي في جواره امينة ويمكن رعاية الغنم فيها والجبل كبير وحجرهُ لين والمصريون معتادون العمل في مثله . وقد عرضتُ حجارة الزمرد التي وجدتها على بيت الخواجات ستريتر وهو من اكبر البيوت في استخراج الجواهر ببلاد الانكليز بل هو البيت الذي التزم معدن الياقوت في برما من الحكومة الانكليزية . وقد وعد واحد من اعضائه ان يأتي القطر المصري ويشاهد معدن الزمرد بنفسه ولا يبعد ان يكون من ذلك فائدة ماليَّة للحكومة المصريَّة وفائدة علميَّة لعلم التاريخ والآثار

مقاومة المسكرات

للشريف ارل مبث

[انتشرت آفة السكر في هذه الديار واهتمَّ البعض بعلاجها وكأنهُ أُيِّس عليهم فلم يجدوا الى العلاج سبيلاً . وقد اطلعنا الآن على مقالة لاحد سراة الانكليز شرح فيها طريقة استُخدمت في بلاد نروج لتقليل السكر فنجحت اتمَّ النجاح وهاك ترجمتها بنصِّها قال]

كان السكر شائعاً منذ بضع سنوات بين سكان مملكتي اسوج ونروج اما الآن فنجا الاهلون منهُ ولاسيَّما في الثانية . فقد ذهبتُ الى تلك البلاد منذ عهد قريب وعجبتُ من امرين تحمل الارض وحسن بزَّة السكان . والسكان جميعهم اهل سعي وتدبير فلا ترى بينهم احداً بلا عمل فالرجال يعملون في الحقول والنساء يخطن في بيوتهنَّ ولا تجد بينهم احداً لابساً ثياباً خلقة ولا تلقى احداً سكراناً او متسوِّلاً ولم ارَ في البلاد حانًا . ولما سألتُ عن سبب ذلك قيل لي انهُ حدث تغير عظيم في بلاد نروج في السنين الاخيرة فابطلت حانات المسكر من قرى الفلاحين بحسب اوامر الحكومة الصادرة سنة ١٨٦٦ و ١٨٧١ وقلَّت كثيرًا في المدن ففي مدينة برجن مثلاً ستون الف نسمة وليس فيها الاَّ اربعة عشر حانًا . وركبتُ يوماً مركبةً وصعدت على بعض المرتفعات فقيل لي ان ذلك الطريق البديع الهندسة وتلك المباني الفاخرة والحدائق الغنَّاء انشئت على نفقة الشركة التي احتكرت بيع الاشربة الروحية في تلك الحانات فزادت رغبتي في الوقوف على اعمال هذه الشركة .

وهدانى البعض الى رسالة وضعها المستر توماس ولسن في تاريخ هذه الشركة فرأيت